إعادة قراءة وتأمّل في فكر الأنوار الأوروبيّ في زمننا الموسوم بالتعصّب والتوحّش 2

رأى روسّو في الدين هدايةً وفي التمييز بين المذاهب والشيع تمزيقاً للأديان والأوطان واعتبر مونتسكيو الملكيّة نظاماً شاذّاً ينتهي إلى حكم استبداديّ مطلق

ديدرو

كوندورسيه

مونتسكيو

كتب محمد زكريا توفيق ميدل ايست أونلاين: الدين بالنسبة إلى كوندورسيه، ينبغي حصره في أمور الهداية والأخلاق للفرد فحسب، ويجب ألا يتدخل في أمور البشر الفكرية والسياسية. كوندورسيه هو رائد تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في جميع الواجبات والحقوق، وبينها الحقوق السياسية. هو بطل التعليم العام المجاني لجميع أفراد الشعب، وهو المطالب بإعادة كتابة التاريخ بطريقة موضوعية خالية من العواطف والتحيز. كتابه «النشرة التمهيدية»، وكذلك كتاب فولتير «مقالات في السلوك»، يعتبر عملا فلسفياً عن الحضارة الحديثة، مبيّناً حركة التاريخ عن طريق التقدم الحضاري للشعوب، وقدرة الإنسان المطلقة على التقدم على مرّ التاريخ. لذا يسعنا القول إن كوندورسيه عالم وفيلسوف مهموم بمشاكل البشر، ورائد من رواد الليبرالية الحديثة، وأحد مكوّني عقل الإنسان الحديث وضميره.

أما ديدرو، المشرف على إصدار «موسوعة الفنون والعلوم والحرف»، فحرّر العديد من فصولها، وهو من قادة حركة التنوير ورئيس تحرير أول موسوعة حديثة. عقلانية ديدرو تبلورت إلحاداً. أما روسو وفولتير فكانت عقيدتهما «الربوبية»، أي الإيمان بوجود الربّ أو الله، لكن من دون أنبياء وكتب مقدسة ومؤسسات دينية. وإيمان روسو بالربوبية كان أكثر رقة من إيمان فولتير. كان روسو يقول إن الله يمكن الإحساس بوجوده، لكن لا يمكن برهان هذا الوجود. الإيمان بالله لدى روسو، لا يعني رفض التصوف والمعجزات، مثلما هي الحال لجميع المؤمنين بالربوبية في عصره. وكتاب روسو «العقد الإجتماعي» أهم أعماله، يعالج فيه الأساس القانوني للحكم الجمهوري، ومنذ صدوره عام 1762 بات من أهم مصادر الفكر السياسي الحديث في العالم الغربي. ونعرف جميعاً الصيحة الجريئة التي استهل بها الفصل الأول: «ولد الإنسان حراً، وهو في كل مكان مكبل بالأغلال». هذه العبارة أضحت شعار قرن كامل. افترض روسو وجود حرية و«حالة طبيعية» بدائية للإنسان، لم يكن يعرف فيها قوانين أو قيوداً، لذا اتهم المفكر الفرنسي الدولة القائمة وسلطاتها بتدمير هذه الحرية، وهو يقترح بديلاً من ذلك ابتكار شكل جديد للمجتمع يحمي حقوق أعضائه ويحفظ أملاكهم. مجتمع يعيد للإنسان حريته التي فقدها، حريته التي كان يتمتع بها ماضياً.

يقول روسو إن ثمة عقداً اجتماعياً. ينجم عن اتفاق الأفراد على إخضاع، رأيهم وحقوقهم وسلطاتهم لإرادة مجتمعهم. كل شخص يصبح طرفاً في مثل هذا العقد ويقبل حماية القوانين العامة التي تحكم هذا المجتمع. طاعة القانون هي التي تحرر الإنسان من العبودية. إذا سقطت القوانين عمت الفوضى وظهر من يستعبدك. الدولة تصبح جمهورية متى حكمتها القوانين. أما إذا كان الحاكم هو الذي يضع القوانين وينفذها، فليست هناك جمهورية أو دولة، بل طاغية يحكم عبيداً. ورفض روسو فكرة «الاستبداد المنير» أو «الحاكم العادل» كنظام للحكم.

العقد الاجتماعي يسمح بالملكية الخاصة، شرط رقابة الجماعة، لذا يجب أن تحتفظ الجماعة بحقها في مصادرة الأملاك لخير المجتمع. كما يجب أن تحدد الملكية ويعاد توزيع الثروة عن طريق الضرائب التصاعدية. والدين لدى روسو، ضروريّ للفضيلة، فما قامت دولة من دون أساس ديني، إلاّ أن رجال الدين لا يجب أن يكونوا فوق قوانين الدولة. كي لا ينقسم ولاء الوطن بتعدد الأديان.

يختلف روسو مع رجال الدين في ضرورة أن يكون الدين بسيطاً واضحاً من دون شروح غامضة ملتوية وتعقيدات غير لازمة. يجب أن يركز الدين على الإيمان بوجود إله قادر، وحياة أخرى، وقيم نبيلة، لا أكثر من ذلك. يتسامح روسو مع الأديان التي تتسامح مع غيرها. من يدعي أن دينه فحسب هو الصواب، أو يقول إن لا خلاص خارج الكنيسة يجب طرده من الدولة. الدين في مجموعه، هداية للبشر، فلا حاجة بنا إلى تعليق أهمية كبرى على الفروق بين المذاهب والشيع التي مزقت الأديان وأدمت أنوف الأوطان.

الأديان كلها خير، إن حسّنت السلوك وغذّت الرجاء. من السخف أن نعتقد بأن مصير أصحاب العقائد والأديان الأخرى الهلاك، «فلو لم يكن على الأرض سوى دين واحد صحيح، ولو حكم على جميع الخارجين عنه بالعقاب الأبدي، لكان إله هذا الدين أظلم الطغاة وأقساهم».

كتاب «الرسائل» لمونتسكيو، يُظهر أن المَلَكيّة نظام شاذ غير سوي، ينتهي حتماً إلى حكم استبدادي مطلق. الحاشية فاسدة، والنبلاء خاملون مبذرون يسيئون إدارة أموال الدولة. لكنه يمتدح جمهوريات اليونان وروما القديمة وهولندا وسويسرا الحديثة. الحكومة أمر ضروري. شرّ لا بد منه. إنما يجب أن تكون قائمة على الفضيلة والأخلاق. بيد أن انتقادات مونتسكيو الدينية كانت أكثر قسوة. ورد «الرسائل»، على لسان أوزبك، أن الزنوج يتصوّرون أن الإله أسود البشرة غليظ الشفتين أشعث الشعر، وأن الشيطان أبيض البشرة أصفر الشعر أزرق العينين، على عكس صورتي الإله والشيطان لدى الأوروبيين. وكان ينتقد عقيدة التثليث عند المسيحيين وحصول المعجزات.

الساحر «علي بابا» يحث الناس على الاعتقاد بأن الخبز ليس خبزاً والخمر ليس خمراً. ويسخر من اختلاف المذاهب المسيحية، والمسابح وثياب الرهبان الفضفاضة المذهبة. وأفزعته محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال حيث كانت تحرق الناس بلا رحمة، مثل القش، باسم الدين. امتناع الرهبان والراهبات عن الزواج وتحريم الطلاق سوف يعوقان ازدياد السكان في كل من فرنسا وإيطاليا وأسبانيا. الرهبان خاملون يستولون على ثروات الدولة كلها تقريباً عن طريق الوقف، فلا تتداول هذه الثروات ولا تستغل في التجارة أو الصناعة. كان مونتسكيو يسخر من الاضطهاد العنصري، ويقول على لسان أوزبك: «أنت تعلم ياميرزا كيف أُجبر الأرمن على مغادرة المملكة أو الدخول في الإسلام. اعتقاداً منهم أن هؤلاء الكفار يلوّثون المملكة. اضطهاد هؤلاء الكفار عبدة النار، جعلهم يفرون إلى الهند الشرقية، ما حرم البلاد من شعب جاد نشيط. هذا التعصب الأعمى سوف يتسبب بتدمير الصناعة، ومن ثم البلاد، حاملة معها الديانة التي نريد حمايتها».

وجد مونتسكيو ضالته في نظام الحكم الإنكليزي، فالملك يكبح جماحه مجلس العموم، ومجلس العموم يكبح جماحه مجلس اللوردات. وكان معجباً بمذهب الرواقيين، ويعتبر القضاء على مذهبهم محنة ابتلي بها الجنس البشري. فهذا المذهب وحده هو الذي صنع الموطنين وعظماء الرجال. الحرية لدى مونتسكيو حق لكل إنسان، طالما كانت في ظل القانون. وكان يستهجن الرق لأسباب أخلاقية. وكان يعترف بالله كعقل تعبر عنه قوانين الطبيعة وروح القوانين، لكنه يعتقد أن المعجزات لا تلائم طبيعة الإنسان. لا يمانع من وجود شرائع دينية تكمل القوانين المدنية، شرط ألا تلغيها. وجود القوانين المدنية يحدّ من استبداد الشرائع الدينية، وينبغي أن تكون كلّ من الدولة والكنيسة رقيبة على الأخرى، كي يحدث التوازن.

أما فولتير، فأعلن الحرب على التعصب وانعدام التسامح الديني الذي استعبد أوروبا لألوف السنين. يقول:

«كفى حرقاً للكتب، وإطاحة لرؤوس الفلاسفة، وإعدام الأبرياء، بحجة أنهم يدينون بديانات مختلفة. هذا عار يجب أن يمحى. يجب أن يتحرر الإنسان من خرافات العصور الوسطى، ومن سلطة الحكومة الدينية. يجب أن يحكم الإنسان بالحجة والعقل».

في رسالته عن التسامح الديني، في كتابه «قاموس الفلسفة»، يؤكد على حرية العقيدة وينتقد الخطاب الديني الرسمي، وينادي بفصل الدين عن الدولة، ويبتهل إلى الله على هذا النحو:

«إلهي، ألتجئ إليك، يا خالق كل شيء، أن لا تجعل الكره والبغضاء يستشريان بين البشر، بسبب الفروق التافهة بين ملابسنا أو قوانيننا، أو لغاتنا المختلفة، أو عاداتنا المضحكة، أو آرائنا الغبية، أو مراكزنا الاجتماعية. هذه فروق تبدو عظيمة لنا بسبب جهلنا، لكنها ليست فروقاً على الإطلاق بالنسبه إليك. فاجعلهم يتذكرون دائماً أنهم لا يزالون إخوة وأخوات».

فكر الأنوار هو بداية العالم الحديث، فمعظم أفكار العصر الراهن وفدت من ذاك الزمن: الديموقراطية، العقلانية، التجربة، الحقوق الطبيعية، المنهج العلمي، التعليم العلماني، الحرية، والتقدم، إلخ.

جلد الذات والشعور بالذنب، وعدم الثقة في النفس، والاتكال على القوى الخارقة للطبيعة، والامتثال للسلطة، والتضحية بالحياة الدنيا واحتقارها لأجل الحياة الأخرى، وثنائية النظرة للأمور: الرب والعبد، السماء والأرض، الدنيا والآخرة، الروح والجسد، الخير والشر... هذه الأمور كلها التي جاءتنا من العصور الوسطى، تم التغلب عليها. أصبح الإنسان الآن يواجه الحياة مملوءاً ثقة بالنفس. أضحى يعرف قدراته ويأمل في غد أفضل يتغلب فيه على مشاكله وآلامه.

حطّم عصر الأنوار فكرة الحق الإلهي للحاكم وأتى بالحكم الدستوري. حجّم الدين وحصره في وجود الخالق والقيم الخلقية. عصر الأنوار أعطى الإنسان الأمل وقدم إليه من المساعدة أكثر من أي دين آخر.

أصبح فكر الأنوار مثل الدين الجديد. العقل هو الرب. والقوانين العلمية هي الإنجيل، وفولتير وأمثاله هم الأنبياء. أعطانا العلم نمطاً جديداً من الحقيقة. والعقلانية طغت على الأفكار الموروثة كافة.

أسئلة «الثورة» بين أوهام المثقفين وتسلّط السياسيين... بحثاً لأيمن تعيلب

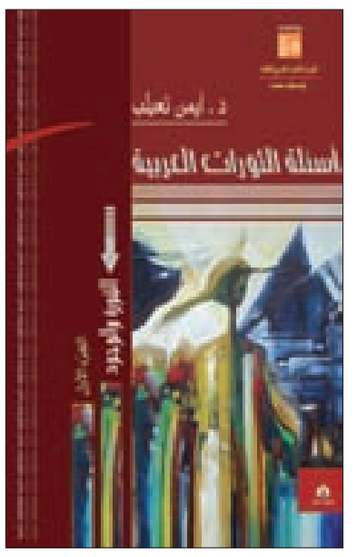

يؤسس الناقد والكاتب د. أيمن تعيلب في كتاب «أسئلة الثورات العربية» الصادر حديثاً في مجلدين ضخمين لدى «الهيئة العامة لقصور الثقافة»، رؤية استراتيجية للدفع بالمجتمع المصري إلى تحقيق أهداف ثورته في 25 يناير، من خلال رصد وتحليل وقراءة الآليات السياسية والثقافية والاعلامية والاجتماعية التي رسختها أنظمة الحكم منذ ثورة 1952 حتى قيام ثورة 25 يناير، وخاصة في نظام حكم الرئيس المخلوع حسني مبارك، سعياً إلى استشراف واكتشاف وما يحتاج إليه المجتمع من إعادة الهدم والبناء والتركيب.

يطرح تعيلب في الجزء الأول تساؤله المحوري: هل يمكن رفع حالات الإجساد الثائرة بوصفها تدفقاً ثورياً جسدياً خاماً إلى أشكال معرفية تخييلية تؤسس لتصورات ثقافية وسياسية وتاريخية جديدة في واقعنا الجمالي؟

في الثاني يطرح سؤاله: هل يمكن اكتشاف جماليات خاصة بشعريات الثورات العربية في شعرنا العربي القديم والمعاصر؟ وإذا كان لهذا الفرض النقدي صدقيته من الواقع التاريخي، فما هي الأشكال الجمالية والمعرفية التي جسدت هذه الشعريات الثورية في خطابنا الشعري المعاصر والقديم أيضاً؟ وربما كان هذا الكتاب - بحسب قوله - محاولة نقدية تأسيسية أولى للتحقق العلمي والمنهجي من صدق فرضياتنا.

يتوقف بدءاً عند مصطلح الثورة في الأدبيات السياسية والثقافية وأسباب وأشكالها، والإرهاصات السياسية والاجتماعية والإقتصادية للثورة، ليرسم بعد ذلك بورتريه للديكتاتور المخلوع، ثم يطرح أسئلة الثورة وتفكيك الخطاب الإعلامي، والإعلام وسيميائية التطويع والترويع، ويمضي مع أسئلة الثورة إلى تفكيك بنية الفكر الحظائري، وتفكيك التوازنات الثقافية والسياسية الدولية، وتأسيس الإدراك العقلي الجماعي، وتفكيك الدال الاجتماعي، وإعادة بناء المعنى والتاريخ، ويحلل انفجار النموذج السياسي والديني التسلطي، والعلاقة بين «الإخوان» والمجلس العسكري. ويتطرق إلى أوهام الزعامة، والأوركسترا التي خلقتها الثورة من غير قيادة، والعازفين القدماء الذين يسرقون اللحن، وأسئلة الثورة بين أوهام المثقفين وتسلط السياسيين، وثورة 25 يناير وتأسيس علم اجتماع الغياب، متسائلاً أيضاً: هل الحضور السياسي الاجتماعي والثقافي واللغوي والقيمي الذي أسسته السلطة هو حضور فعلي؟ أم هو حضور تكمن وظيفته الأساسية في تغييب الحضور المادي التاريخي الفعلي على الدوام؟ ليختتم هذا الجزء بمحاولة وضع الأطر الرئيسية لتأسيس نموذج معرفي سياسي اجتماعي جديد.

يقول د. أيمن تعيلب إن الباحث في المصطلح القرآني للثورة لا يجد غير بضع آيات كريمات تحدثت عن الثورة لا في المعنى الانقلابي التغييري الطفري، كما هو معروف للثورات، إنما ضمن آيات تكلمت عن الفعل «ثار يثور»، ومشتقاته التي تفيد التغيير في الأرض أو العمران والتحديث، أو الحرث والتحريك، لكن القرآن الكريم نفسه كان ثورة مفهومية ومعرفية وعقدية وثقافية كبرى في الحياة العقلية والروحية للعرب، فالإسلام كان معنياً بإحداث نقلة ثقافية تحويلية شاملة في مفاهيم الوعي والعقل والروح والدنيا والآخرة لدى العرب، وهي ثورة تشمل جميع تصورات الحياة ومناحيها واهتمامتها وأهدافها القريبة والبعيدة المرئية واللامرئية. كان القرآن الكريم ثورة كلية شاملة على المستويات الدنيوية والأخروية كافة، وثمة فروق معرفية ومفهومية أساسية بين معنى ثورة الإسلام وثورات المسلمين، ذلك أن كل ثورة دينية روحية فكرية هي ثورة مدنية الطابع من حيث أن الذين يقومون بها بشر تنبع همومهم وطموحاتهم من واقع زمانهم، ومستجدات مكانهم، ومتطلبات تاريخهم وحركته المدنية العامة. ولذلك يجب أن نفرق بين ثورة يقوم بها بشر مسلمون، وثورة يقوم بها الإسلام نفسه كمفاهيم وتصورات عقدية ربانية، فليس بالضرورة أن كل ثورة إسلامية تحقق المفاهيم الإسلامية الربانية في صفائها الرباني الجميل كل ثورة يقوم بها الإسلام ذاته من خلال نصوصه هي ثورة ربانية حقيقية على المستوى النظري التجريدي والمستوى الفعلي، وعندما يقود الفكر الإنساني التاريخي تلك المفاهيم والتصورات تحدث بالضرورة الفجوة المفاهيمية الكبرى بين كمال واتساق، وشمولية المفاهيم الربانية العظيمة، وجزئية الفكر البشري التاريخي المحدود بحدود زمانه ومكانه، ووعيه وإدراكه، وهواجسه ومخاوفه.

يرى د. تعيلب أن إلغاء فكرة السياق التاريخي، ونفي فكرة الجدال، وإقصاء حركة الواقع والعقل بين الصواب والخطأ والهدم والبناء يمثل إحدى المكونات السردية الحكائية لطبيعة الواقع السياسي والثقافي المصري المعاصر. ويضيف: نجدها منتشرة في جميع أنحاء الجسد الاجتماعي والثقافي والسياسي والعلمي والديني والقانوني والخلقي العام، فلدينا واقع بلا وقائع، وأساتذة بلا تجارب ولا فكر خلاق ومؤسسات بلا كفاح ونضال وتأسيس ونظريات بلا تنظير أو تكييف جدلي تاريخي، أي لدينا مجتمع بلا مجتمع، وفي مثل هذا الواقع الثقافي السردي تنشر قوة الإغواء والإثارة والتخييل والظن والوهم والابتذال والسوقية، والقبح والتمويه والمراوغة، كما تتنامى بشكل سرطاني ثقافة الوهم والسماع التي ينبع فيها الواقع من فعل الحدث أو الخبر ولا ينبع الخبر أو الحدث من الواقع المادي نفسه، بل نحن في حرباوية الوجود والواقع والسياسة والثقافة، ما يعني أن النظام السياسي التسلطي يدشن حرباوية الدولة الافتراضية السردية ليزرعها مكان الحقيقة الفعلية للواقع، كما تسد حرباوية الكذب الكامل والنهائي جميع منافذ اللغة والواقع والتاريخ والعقل والروح والمؤسسات والأحزاب والسلطات تسدها جميعاً بحرباوية تلوينات الكذب المنهجي المنظم والمسلح بمدرعات الدعاية والإعلام والصورة وأنظمة التواصل اللاتواصلي، التواصل السردي الوهمي القادر على ابتلاع الحقيقة كاملة في جوفه الظلامي الأخطبوطي.

إن هذا التكالب الإعلامي الشرس على الحقيقة وتدميرها وسحلها وذرها غباراً لا قوام له من واقع أو فعل أدى إلي نماء هذه السرديات السياسية الحرباوية في الواقع المصري بصورة سرطانية بنيوية مدوخة للعقل والمنطق والواقع والتاريخ. ويوضح أن هذه الدوخة الإيديولوجية الكاملة التي سبح فيها الواقع المصري بكامله على عهد الرئيس المخلوع ولا يزال يسبح فيها حتى الآن تؤكد أخطبوطية الإرهاب الإعلامي والدعائي والتعبيري في نفي وسحل قوة الواقع الثوري بطاقة الأسماء المزورة، وعنف اللغة السردية الوهمية الكذوبة في تعويم الإدراك المصري في لجة المصطلحات السردية، والتعبيرات الوهمية، حتى يتم تحويل الواقع المادي التاريخي إلى حالة ثرثرة إنشائية يتكالب عليها الجميع لنفي الجميع، ويتشارك فيها الجميع ضد الجميع.

هذا التكالب المفرط على الحقيقة لنفيها وتدميرها وسحلها جعل الواقع المصري الفعلي طافياً على الدوام في لجج التسميات الاصطلاحية الوهمية المتسارعة والمكررة لاقتلاع الواقع من كل ثبات وتحديد وتعيين، ثم تعيينه السردي الوهمي من جديد في واقع اللاتحديد واللاهوية.

في الجزء الثاني يسعى د تعيلب إلى التأسيس لجماليات «شعرية الثورة»، معرفياً وتخييلياً في خطابنا النقدي والشعري القديم والمعاصر، ومتسائلاً: «إذا كان هذا الفرض النقدي تعضده الوقائع السياسية والتاريخية والثقافية الثورية، فكيف تحققت هذه الشعرية على مستوى الخطاب الشعري العربي؟ وما هي الأشكال الجمالية والمعرفية والتخييلية التي جسدت هذه الشعريات الثورية في خطابنا الشعري المعاصر والقديم أيضاً؟ وهل يمكن اعتبار شعريات الحماسات العربية بذرة جنينية لشعريات التثوير؟ يقول: «إن هذا المشروع الجمالي والمعرفي يحتاج إلى باحثين ومفكرين ونقاد كثيرين بل يحتاج إلى تضافر معرفي وجمالي وفلسفي ولغوي وثقافي وسياسي، لتأسيس شعريات الثورات العربية، فهو مشروع بين معرفي، يخترق أكثر من معرفة وتخصص ومنهج في وقت واحد، ولا ندعي أننا قادرون بمفردنا على إنجاز ذلك، بل يكفينا شرف التنبيه وفتح الطريق أمام معظم الباحثين العرب لتأسيس هذا الباب الواسع من أبواب المعرفة التشعبية الدينامية المفتوحة، وربما كان هذا البحث محاولة نقدية ومعرفية وجمالية متواضعة للتحقق من صدق فرضيتنا العلمية السابقة. والتي آمل أن أضع لها أسساً معرفية وتخييلية ومنهجية في هذا الكتاب».

الطرح المعرفي والجمالي في هذا الجزء مختلف - وفقاً للمؤلف - عما كتب قبلاً في أدبيات الخروج والتحريض والهجاء السياسي، ليست الغاية تتبع ألوان الهجاء السياسي الذي أبدع فيه شعراء كثيرون على مدار الشعرية العربية قديماً وحديثاً، في هجو الحاكم أو القاضي أو الحاجب أو المرتشي أو التمرد على بعض القيادات التنفيذية في الدولة، فليست الغاية شعرية التمرد، أو شعرية الخروج والرفض، أو شعرية الاستغاثات برجال السلطة ضد ظلم الولاة والحجاب قديماً وحديثاً، أو الشعر السياسي للفرق الإسلامية المختلفة والمتعددة عبر الجماليات الشعرية العربية، أو شعريات الحرب، وهي أدبيات سياسية كثيرة في موروثنا الشعري العريض، فالبحث هنا لا يتجه صوب شعرية الحروب والمعارك وأيام العرب ووقائعها وانتصاراتها وهزائمها.

ينصب هذا الكتاب رأساً على شعرية أشكال الثورة وهو مصطلح مغاير معرفياً وتخييلياً عن جميع التصورات الجمالية والمعرفية السابقة التي تحدثت عن شعريات: الرفض أو التمرد أو السجن، أو الاغتراب، أو الخروج والتجاوز، ورغم التداخل المفهوميّ بين جميع هذه المصطلحات غير أنها تختلف من وجوه كثيرة. يقول المؤلف: «من هنا فقد تراءى لي أن من الضرورى إعادة تأسيس العقل النقدي العربي، وفق مفاهيم ومصطلحات تحقيلية تشعبية تكون قادرة على توسيع مجالات المصطلح النقدي من خلال إعادة بناء المفهوم الفلسفي نفسه. هذا من ناحية، وتوسيع حدود الجماليات الثورية في موروثنا الثقافي والشعري والنقدي من ناحية أخرى، بما يلم شعثها ويمهد مناداها، فهناك قضايا جمالية وثقافية كثيرة في موروثنا الشعري والنقدي تتسم بالتبعثر والتشتت، وأحياناً يتم تصنيفها والربط أو الفصل بينها غالباً على أسس فكرية وجمالية سطحية من التشابه والاختلاف السريعين، والسبب في ذلك راجع إلى أنها لا توضع في سياقها النقدي الثقافي الواسع القائم على مفاهيم تشعبية دينامية تداخلية: مثل مفاهيم التحقيل التخييلي، والتشعيب المفهومي، والتأثيل المعرفي، ما يدرجها في سياق ثقافي جمالي أوسع بما يعيد تفكيكها ودمجها وتركيبها وتحقيلها لتتجاوز التصنيفات الجمالية والبلاغية المتناثرة السائدة، وربما يكون في إعادة بناء المفاهيم والتصورات من جديد هو لون من ألوان الشجاعة الفكرية والتخييلية الجسورة التي تحتاج إلى جهود الأمناء المخلصين الذين لا يرومون سوى خدمة العلم في ذاته بعيداً عن الحذلقات الأكاديمية والألاعاب المنهجية الشكلية، ولعل في هذا ما يعيد ابتكار تصورات جديدة للغة والمعنى والواقع والخيال والتاريخ العربي الجديد».

«الأسبوع الأدبيّ» تدخل عامها الثلاثين

تدخل جريدة «الأسبوع الأدبي» عامها الثلاثين ولا يزال هاجسها نشر الإنتاج الإبداعي والنقدي للأدباء والكتاب، فضلاً عن أفكارهم وآرائهم في الفكر والأدب والفن والثقافة والسياسة.

ولهذه المناسبة عبر عدد من الكتاب والأدباء لـ «سانا» الثقافية عن رأيهم في هذه الجريدة التي واكبت عمل الكاتب والمثقف منذ صدور عددها الأول في الثلاثين من كانون الثاني عام 1986 وإلى يومنا الراهن.

وزير الثقافة، عصام خليل، يقول: «إن جريدة الأسبوع الأدبي تعتبر وهي تدخل عامها الثلاثين من أهم الصحف العربية التي اهتمت بثقافتنا وتطلعاتنا منذ أن انطلقت معبرة عن شخصية الكاتب العربي خاصة السوري، فهي الصحيفة التي تفردت بالأدب والفكر والثقافة والترجمة والنقد الأدبي والفني وتناولت المثقف والمبدع وواكبت أخباره وتحولاته، وتشهد تطوّراً ملحوظاً رغم تحديات الأزمة التي نعيشها على الصعيد الثقافي عامة وعلى صعيد أدب الأطفال الذي كان ظاهرة جديدة ألحقت بصفحاتها».

الدكتور حسين جمعة، رئيس اتحاد الكتاب العرب، يرى «أن جريدة الأسبوع الأدبي عنيت بالأدب والفكر والفن ورجالاته، ولذلك أضافت إلى الظواهر الفنية والفكرية والأدبية ملفات خاصة في هذا الشأن، مثل ملف الحداثة أو القصة القصيرة أو الشعر السوري، كما أصدرت ملفات عن شخصيات أدبية وثقافية وفنية وكل من اهتم بالثقافة العربية وارتقى بالإبداع العربي»، مشيراً إلى أن هذه الجريدة «اهتمت أيضاً بالمواهب الشابة وخصصت لها صفحتين أسبوعياً تحت عنوان «أصوات جديدة» وانفتحت على الأقلام العربية وأخيار الأدب والفن في العالم العربي، ما جعلها مرجعاً ثقافياً مهماً إذ شملت أصواتاً مختلفة واتجاهات متنوعة كي تمثل صوت اتحاد الكتاب العرب بشكل لائق».

الدكتور نزار بني المرجة، رئيس تحرير الجريدة، قال «إن الذكرى الثلاثين لصدور صحيفة الأسبوع الأدبي هي إنجاز ثقافي مهم إذ استطاعت عبر ثلاثة عقود من عمرها أن تكون منبراً حقيقياً مؤهلاً لنشر النتاج الإبداعي لأعضاء الاتحاد وللأدباء والكتاب من خارج الاتحاد أيضاً، وكانت صفحاتها حيزاً لعرض مواقف الأدباء والكتاب من مختلف القضايا الأدبية والفكرية والثقافية والسياسية. كما شهدت نقلات نوعية على مستوى عدد الصفحات ونوعية الورق والزوايا المتجددة فيها، وعكست خلال السنوات الأربع الماضية تحديدا مواقف مشرفة للأدباء والكتاب السوريين والعرب في وجه الاستهداف الذي تعرضت له سورية وعدد من الدول العربية أيضاً تحت مسمى «الربيع العربي» المزعوم، وكانت صفحاتها مجالا لتعبير الكتاب والمثقفين للدفاع عن الهوية والتمسك بالأرض والوطن وترسيخ منظومة القيم ذات العلاقة بوجودنا وانتمائنا كسوريين وعرب في مواجهة أعتى استهداف يمر في تاريخ الأمة المعاصر».

مدير «دار الشرق» ورئيس تحرير مجلتي «الأزمنة» و«الباحثون» الدكتور نبيل طعمة، قال «إن جريدة الأسبوع الأدبي عبرت عن شخصية الإنسان العربي بشكل كامل عبر سنوات طويلة من خلال تنوعها الفكري والثقافي وتناولها العادل جميع الرؤى والمعطيات، فكانت الجريدة الأكثر انتماء على مستوى الأدب العربي إذ استمرت في تقدير المثقف ونشر إبداعاته وواكبت الأجيال على مختلف أفكارهم وانتماءاتهم الفكرية، ولم تخل بتطلعات الوطن والاتحاد فعبرت عن شخصية اتحاد الكتاب العرب بشكل حقيقي».

مدير عام الهيئة العامة السورية للكتاب الدكتور جهاد بكفلوني رأى ان جريدة «الأسبوع الأدبي» نجم حقيقي إذ أضاءت لعدد كبير من الكتاب والمثقفين وأكدت عبر مسيرتها الطويلة أن الوطن هو خير وأبقى فاستحقت التقدير والاحترام.

من ناحيته، اعتبر الدكتور علي القيم، رئيس تحرير مجلة «المعرفة» بين أن جريدة «الأسبوع الأدبي» تمكنت منذ أيام صدورها الأولى من الارتقاء إلى مستوى الذائقة الثقافية والأدبية وعبرت عن طموحات المثقفين والأدباء السوريين والعرب وآمالهم. لافتا إلى أنها كانت منظمة الصدور وهذا ما أعطاها قيمة فكرية وفنية وجعل القارئ المثقف يتواصل معها ويتابع إصداراتها بما حوته من مقالات ودراسات وأبواب ثابتة ورؤى فنية عديدة لإصدارات الاتحاد ودور النشر السورية والعربية.

مع صدور العدد الجديد في الأول من الجاري تدخل «الأسبوع الأدبي» عامها الثلاثين، علماً أن العدد الأول من الصحيفة الناطقة باسم اتحاد الكتاب العرب صدر في كانون الثاني عام 1986 وتوالى عليها العديد من رؤساء التحرير من كبار أدباء سورية وهيئات تحرير ضمت نخبة من أبرز الأدباء، طوال ثلاثة عقود مضت، وكانت تصدر في 12 صفحة، أي نصف حجمها الراهن، كما تعاقب عليها رؤساء تحرير وأصدرت ملحقاً لأدب الأطفال منذ عدة سنوات أخذ طابعاً إخراجياً متعدداً. وشهدت الصحيفة تنوعاً جميلاً ولافتاً في زواياها إذ ظهرت زوايا وغابت أخرى واستحدثت أفكار جديدة تعبّرعن رؤى مختلفة لبيئات اجتماعية متنوعة.

«الحروف الموارية» سيرة أرامبورو قارئاً

صدر حديثاً للكاتب الإسباني فرناندو أرامبورو كتاب «الحروف الموارية» الذي يضم نصوصاً وحكايات عن علاقته بالقراءة وقراءاته خلال سنوات طويلة، بالإضافة إلى تحليله عدداً من الكتب الأوروبية المهمة. وعن الكتاب نشرت صحيفة «إيه بي سي» الإسبانية مقالاً للناقد جي إم بوثويلو ينتقد فيه بعض أجزائه، ومما جاء في المقال: «من الطبيعي والمعتاد أن نجد في أعمال الكاتب الإسباني فرناندو أرامبورو كُتّاباً يبزغون من داخل السرد ليجمعوا مقالات ومحاضرات وتأملات عديدة، أو يتناول عيوب حياته كقارئ. في هذا النوع، ثمة عناوين لا يمكن نسيانها لقيمتها كشهادة، لقسوة أحكامها أو لتأثيرات نقده في أعمال كُتاب آخرين. إضافة لذلك، غالباً ما تكون أفضليات وقراءات كاتب عاكسة وفاضحة لعالمه. كتاب أرامبورو الجديد «الحروف الموارية» شديد الأهمية في مجمله، غير أنه يتضمن عدة صفحات أثرت سلباً فيه، ليس لأنها بلا قيمة أو أنها غير مناسبة في لحظتها كمقال صحافي أو محاضرة، بل لأنها لدى وضعها بجانب صفحات أخرى شديدة النصوع في الكتاب نفسه، تعكس وجودها الطارئ والصدفي أو ملاءمتها سياقاً محدّدا (أضرب مثلاً صفحات عن تكريم كاتب أو ثرثرة موجهة إلى القارئ عمّا هي القصة). هذا السياق لا يناسب قارئ هذا الكتاب ولا يقنعه. خلق فرناندو أرامبورو غموضاً حول طبيعة كتابه إذ يتخيل إطاراً يمنح خيطاً لمجمل النصوص التي يحوكها. هذا الإطار هو حوار مع شخصية يسميها «العجوز»، وهو صاحب مكتبة هائلة، وحانة للنبيذ المميز، كاتب ومحدثه يشربان بينما يتأملان. وفي هذا السياق، تحكي له شخصية الراوي، أرامبورو، عدة أمور - لناحية سيرته الذاتية كقارئ، وتلك من أفضل الصفحات، فمن دون تكلف يحكي قصة شخصية مليئة بالأصالة. مثير للعاطفة كيف يحكي عن ولد لأبوين عاملين، يعاني الضغط والحرمان ويغذي إرادته وروحه بالطفو في عالم الأدب. مثلما يحدث في كتاب لويس لاندير الجديد، صفحات السيرة لدى أرامبورو عالية القيمة لاحتوائها على شهادة ولانطوائها على صدق يبلغ العمق، وتعكس أيضاً أرامبورو ككاتب متفرد، والشخص الذي يقف خلف هذا الكاتب. وإلى جانب جزء السيرة الأكثر أصالة، ثمة نصوص أخرى يقرأها أرامبورو للعجوز بصوت مرتفع وتتضمن ما يمكن اعتباره امتداداً لمقالات ودراسات. هناك أيضاً قطع قيّمة بجانب حكايات أخرى ونصوص تصرح بحثاً عن سياق وتفتقد العمق. ليس حسناً أن تقف أمام جمهور عريض لتشرح له ما هو واضح عن الشعر والرواية والقصة، والأسوأ أن تنقل ذلك في كتاب، فتعيد شرح ما هو معروف. في المقابل، قراءات الأعمال الأوروبية الكبيرة صائبة وعميقة، وكان صحياً أن يشير الكاتب إلى مؤلفين إسبان آخرين ويعترف بجودتهم».